قضية اللفظ والمعنى عند الجاحظ

- **ما الأسباب التي أثارت قضية اللفظ و المعنى في النقد العربي القديم ؟**

إنّ السبب الرئيس و المحفِّز يكمن في معركة الإعجاز القرآني أو فكرة الإعجاز في القرآن ، و ارتباط الفكر النقدي اللغوي و البلاغي بمضامينها ، باعتباره عربياً إسلامياً ، فكأن النزاع يكمن في الإعجاز و على مستوى اللفظ و المعنى و تأليفه . أو المعنى و دلالة ، أو بها جميعاً ، أو بالعلاقة بين اللفظ والمعنى .

و يمكن حصر أبعاد هذه القضية بأربع فرق ، هي :

ف١- فريق اللفظ ، و يمثله الجاحظ (ت٢٥٥هـ) ، و أبو هلال العسكري (ت٣٩٥هـ) .وابن سنان الخفاجي .

ف٢- فريق المعنى ، و يمثله ابن قتيبة (ت٢٧٦هـ) ، ويتبعه قدامة بن جعفر (ت٣٣٧هـ) .

ف٣- فريق لم يفصل بين اللفظ و المعنى ، و يمثله ابن رشيق القيرواني (ت٤١٤هـ) ، و يتبعه ابن الأثير (ت٦٣٧هـ) .

ف٤- فريق تجريد اللفظ و المعنى ، و ينص على العلاقة بينهما ، و يمثله عبد القاهر الجرجاني (ت٤٧١ هـ) صاحب نظرية النظم .

- **ماذا نقصد بنظرية الاقتران ؟**

مصطلح الاقتران يدلّ على تآلف أصوات الحروف العربية في بنية اللفظة الصوتية ، و قد جعل فكرة الاقتران على مستويين :

١- مستوى التركيب (اقتران الألفاظ) : يقول الجاحظ : " و من ألفاظ العرب ألفاظ تتنافر ، و إن كانت مجموعة في بيت شعر ، لم يستطع المنشد إنشادها إلا مع بعض الاستكراه ، فمن ذلك قول الشاعر :

و قَبرُ حَربٍ بمكانٍ قَفرٍ و لَيسَ قُربَ قَبرِ حَربٍ قَبرُ

٢- مستوى تلائم الأصوات في اللفظة الواحدة : يقول الجاحظ : " فأمّا في اقتران الحروف ، فإنّ الجيم لا تقارن الظاء ، و لا القاف و الضاد و الغين و العين بتقديم ولا تأخير " ، و هذا ما أكده ابن سنان الخفاجي في شروط الفصاحة الثمانية .

إنّ أوّل من ألقح شرارة معركة اللفظ هو الجاحظ ؛ تعلُّقاً بمذهب الصنعة و تعصّباً للفظ ومشايعة للصياغة ،إذ يقول :" إنّ المعاني مطروحة في الطريق يعرفها

العجمي و القروي و البدوي ، إنما الشأن في إقامة الوزن ، و تخيّر اللفظ و سهولة المخرج ، و في صحة الطبع وجودة السبك ".

نستنتج من هذا القول أن الجاحظ كان يناصر اللفظ بوصفه وعاء للمعنى ، فهو جسم و المعنى روح ، و قد تبعه في ذلك أبو هلال العسكري فأيّده بهذه المناصرة ؛ لان سلامة الكلام في سلامة اللفظ من حيث السهولة و العذوبة و الجودة و الدقة و الانسجام ، إذ يقول : " الكلام ـ أيّدك الله ـ يحسن بسلامته و سهولته و نصاعته و تخيّر ألفاظه و إصابة معناه و جودة مطالعه " .

ومن هنا نفهم أن أبا هلال العسكري أول من نظر لنظرية النظم و سمّاها بـ"الرصف" ، و أراد بها " تآلف الكلمات و انتظامها " و أوّل من قال بأن الألفاظ أجسام و المعاني أرواح ، مشابهة بالكائن الحي .